

تفسير سورة الأنعام (103-100)

تفسير سورة الأنعام (103-100)

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ (100)}

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ} يعني: الكفار جعلوا الجن شركاء لله، فعبدوهم مع الله {وَخَلَقَهُمْ} يعني: والله المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير {وَخَرَقُوا} أي: اختلقوا وافتعلوا {لَهُ} لله {بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ} بجهل وبلا حجة، وذلك مثل قول اليهود عزيز ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، وقول كفار مكة الملائكة بنات الله، ثم نزه نفسه فقال {سُبْحَانَهُ} أي تنزهه {وَتَعَالَى} وارتفع {عَمَّا يُصِفُونَ} عن جعلهم له شركاء وأولاداً فهذا نقص في حقه تبارك وتعالى.

قال الطبري: تنزه الله وعلا فارفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجهلة من خلقه في ادعائهم له شركاء من الجن، واختراقهم له بنين وبنيات، وذلك لا ينبغي أن يكون من صفته؛ لأن ذلك من صفة خلقه الذين يكون منهم الجماع الذي يحدث عنه الأولاد، والذين تضطروهم لضعفهم الشهوات إلى اتخاذ الصاحبة لقضاء اللذات، وليس الله -تعالى ذكره- بالعاجز فيضطره شيء إلى شيء، ولا بالضعيف المحتاج فتدعوه حاجته إلى النساء إلى اتخاذ صاحبة لقضاء لذة.

{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101)}

{لَا تُدْرِكُهُ الْإِبْصَارُ} أي: لا تحيط به {وَهُوَ يُدْرِكُ الْإِبْصَارَ} وهو يحيط بها، لا يخفى على الله شيء ولا يفوته.

ويوجد فرق بين رؤية الله والإحاطة به، فرؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة بأعينهم ثابتة بأدلة أخرى كقول الله تبارك وتعالى {وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ}، والإحاطة به منفية بهذه الآية. هذه عقيدة أهل السنة والجماعة خلافاً لأهل البدع.

والذي يدل على الفرق بين الرؤية والإحاطة قول الله تبارك وتعالى: {فَلَمَّا تَرَأَىٰ الْجَمْعَانَ قَائِلًا أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ} [الشعراء: 61] ، فرأى قوم فرعون أصحاب موسى، والله سبحانه وتعالى قد كان وعد نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أنهم لا يدركون لقوله: {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ} فلم يدركوهم ، مع أنهم رأوهم.

قال البغوي في تفسيره: يتمسك أهل الاعتزال بظاهر هذه الآية في نفي رؤية الله عز وجل عياناً، ومذهب أهل السنة إثبات رؤية الله عز وجل عياناً: قال الله تعالى: {وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} [القيامة: 22] - وقال: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ} [المطففين: 15] قال مالك رضي الله عنه: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب؛ وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس: 26] وفسره بالنظر إلى وجه الله عز وجل. وذكر البغوي حديث جرير، نذكره باللفظ الصحيح، وعن جرير بن عبد الله قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا

الْقَمَرِ، لَّا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ.» ثم قال: وأما قوله: {لَّا تُدْرِكُهُ
 اللَّابَّصَارُ} فاعلم أن الإدراك غير الرؤية؛ لأن الإدراك هو الوقوف
 على كنه الشيء والإحاطة به، والرؤية: المعاينة، وقد تكون الرؤية
 بلا إدراك، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: {فَلَمَّا
 تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ - قَالَ كَلَّا} [الشعراء: - 61 62] وقال: {لَّا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى} [طه: 77]
 فنفى الإدراك مع إثبات الرؤية، فالله عز وجل يجوز أن يرى
 من غير إدراك وإحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به، قال الله
 تعالى: {وَلَّا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: 110] فنفى الإحاطة مع
 ثبوت العلم، قال سعيد بن المسيب: لا تحيط به الأبصار، وقال
 عطاء: كلت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به، وقال ابن عباس
 ومقاتل: لا تدركه الأبصار في الدنيا، وهو يرى في الآخرة. انتهى.

يعني من فسر الإحاطة في هذه الآية بالرؤية نفى رؤية الله في
 الدنيا خاصة، جمعاً بين الأدلة واتباعاً لما أجمع عليه أهل السنة
 والجماعة من رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة. والله أعلم قوله:
{وَهُوَ اللَّطِيفُ} قال الشنقيطي: اللطف: إيصال البرِّ والإكرام
 والإحسان. وكثيراً ما يُطلقُ على إيصاله بالطرق الخفية التي لا
 يَعْلَمُهَا كُلُّ النَّاسِ

وَاللَّهُ - جَل وَعَلَا - لَطِيفٌ بِخَلْقِهِ، مُحْسِنٌ إِلَيْهِمْ، يَدْرِكُ حَقَائِقَهُمْ، وَلَا
 يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ، لَطِيفٌ إِلَيْهِمْ، مُحْسِنٌ بَرِّ بِهِمْ، يُوَصِّلُ لَهُمْ
 طَرِيقَ الْإِكْرَامِ وَالْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ **{الْخَبِيرُ}**
 الْعَالَمِ بِبِوَاتِنِ الْأُمُورِ وَخَفَايَاهَا. قال الشنقيطي: (الخبير) في لغة
 العرب لا يكاد يُطلقُ إلا على العالم بما من شأنه أن يخفى، فلا
 يُطلقُ (الخبير) على العالم بالظاهر غالباً، وإنما يُطلقُ (الخبير)

على مَنْ عِلْمَ شَيْئًا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَخْفَى. انتهى المراد